حرية
سياسية ■ إسبوعية ■ مستقلة
تصدر عن مركز الكرامة الإعلامي

www.hurrriya.com
حرية - السنة الثانية - العدد (٨٤) ٢٠١٤/٤/١٤

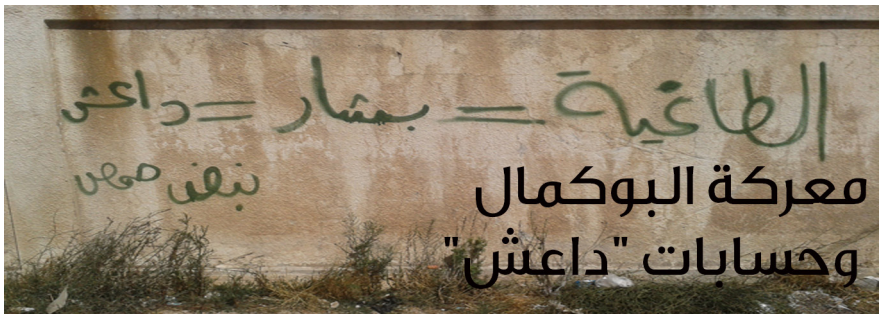

معركة البوكمال وحسابات "داعش"

أنور بدر

انتهت مبدئيا معركة «داعش» لاحتلال مدينة البو كمال شمال شرق دير الزور، بهزيمة تنظم «داعش» الذي باغت المدينة فجر يوم الخميس ١٠/ ٠٤/ ٢٠١٤، في الساعة السادسة صباحاً، باحتلال مقر الهيئة الشرعية وذبح كل عناصر الحراسة بعد استسلامهم، ثم قتل رئيس الهيئة «أبو الليث» والتمثيل بجثته، وفي المرحلة الثانية بدا التنظيم بتنفيذ خطته للسيطرة على مشفى الباسل ومشفى عائشة الخيري، حيث قتل الدكتور محمد الدبس المعروف بعمله المبكر مع الثورة، كما اتجه عناصر التنظيم نحو مصفاه المياه ومبنى الأمن العسكري سابقا ومقر «أحرار» حاليا، وانتهى الأمر بارتكاب إعدامات ميدانية بحق مقاتلي الجيش الحر وجبهة النصرة وسط المدينة.

اسلوب التصفيات والذبح بالسكاكين والتمثيل بالجثث خطة متعمدة لإرهاب الأهالي وبقية الكتائب المقاتلة، وفرض شروط الاستسلام والبيعة على السكان المدنيين، بما يسمح لتنظيم داعش بالسيطرة على المرافق العامة والمناطق الحيوية والتحكم بالبنية التحتية للمدينة.

يذكر أن نظام الأسد فقد السيطرة على مدينة البوكمال منذ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢. تلك المدينة التي تملك معبرا حدوديا مع محافظة الأنبار غرب العراق، والتي تعد معقلا بارزا للدولة الاسلامية، مما منح منطقة البوكمال أهمية استراتيجية في حسابات «داعش» كونها تشكل الامتداد الطبيعي لمشروعها السياسي، في ربط العراق بالمنطقة الشرقية من سوريا وصولا إلى الرقة لإقامة دولتهم المزعومة، التي تمنحهم فرصة التحول إلى لاعب إقليمي بين إيران ونظام الأسد، لجهة صفقات السلاح والنفط أيضاً.

فالبوكمال ومحافظة دير الزور غنية بآبار النفط ومخزونات الغاز الواقعة تحت سيطرة جبهة النصرة، والتي تعتبر في أولويات أهداف «داعش»، حيث أن السيطرة عليها يؤمن موارد مالية لتوسيع وتنفيذ مخططات التنظيم، كما أن السيطرة عليها يسمح ببيع النفط إلى النظام من جهة، ويسهم بتأمين تمويل لها لخوض معارك وشراء مقاتلين.

وحين فشلت الدولة الاسلامية في السيطرة على مدينة البوكمال، لجأت إلى تحالف مع اللواء الاسلامي المقاتل الذي يسيطر على المدينة، الذي بايع أمير «داعش» للحفاظ على نفوذه في المنطقة، وهو ما غذا أوهام سيطرة الدولة الاسلامية على الجغرافيا الممتدة بين العراق والشام.

غير أن قرار مواجهة الدولة الاسلامية عسكرياً، والاشتباكات التي اندلعت منذ مطلع كانون الثاني/ يناير بين التنظيم الجهادي وبين الجيش الحر وباقي الفصائل الاسلامية، والمعارك الشرسة بين الطرفين، أدت إلى خسارة «داعش» للكثير من مناطق نفوذها، وانسحب مقاتلو الدولة الاسلامية في ١٠ شباط/ فبراير الماضي من كامل دير الزور، كما طُردت النصرة والكتائب الاسلامية مبايعي الدولة من مدينة البوكمال.

لكن هجوم «داعش» الأخير على المدينة يهدف إضافة للحسابات الاستراتيجية السابقة، إلى حسابات تكتيكية راهنة، تتعلق بالمعركة التي بدأها الجيش الحر قبل يومين من اقتحام البوكمال لتحرير مطار دير الزور العسكري أحد المواقع الاستراتيجية التي ما يزال النظام يسيطر عليها في المحافظة، في إشارة فضحت التعاون القائم بين النظام و«داعش»، لسرقة انجازات الثورة، وعرقلة انتصاراتها.

ورغم أن دخول العشائر في معركة البوكمال مع الجيش الحر وباقي الكتائب الاسلامية، ساهم بتحقيق النصر على «داعش» وطردها خارج المدينة، حيث انسحب عناصر الدولة الاسلامية إلى محطة (تي تو) النفطية، الواقعة في البادية (الصحراء)، على مسافة نحو ٦٠ كلم الى الجنوب الغربي للمدينة، إلا أن هذا يعني أن معركة ثانية وربما ثالثة ستكون بالانتظار، ريثما يتم القضاء على هذا التنظيم الارهابي.

الافتتاحية

المسار الموازي لدعم نظام الأسد

سامي شيحان

كتب المحلل الاسرائيلي تسفي برئيل في صحيفة هآرتس العبرية «بعد نحو ١٦٠ ألف قتيل ونحو ٣ ملايين لاجئ، تبدو الحرب في سوريا كحرب دائمة بلا مخرج. واذا كان ثمة مع ذلك احتمال لإنهائها، فان هذا لا يوجد في أيدي القوى العظمى، بل بالذات في مكاتب الخصمين المريرين السعودية وايران».

ربما يفسر هذا التحليل التحرك المحموم للدبلوماسية الايرانية مؤخرا باتجاه بؤرة تناقضها الإقليمي، وأعني منطقة الخليج العربي تحديداً، فبعد أن اتضحت معالم علاقات قطرية إيرانية جديدة، ربما كانت قاعدتها في سلطنة عمان، يبدو أن الإمارات العربية مَنحت هامشاً جديداً لنظام الملالي كي يبرهن عن حسن نواياه، قبل أن تبدأ دعوة حسن روحاني المرتقبة لزيارة السعودية.

في إطار ذلك الهامش يمكننا أن نقرأ تصريح نائب وزير الخارجية الايراني حسين أمير عبد اللهيان خلال زيارته الأخيرة للإمارات بخصوص «المسار الموازي» كمساومة لتجاوز مفاوضات جنيف المتعثرة، انطلاقاً من رؤيته لميزان القوى الذي أسفرت عنه معركة يبرود تحديدا.

فإذا كانت إيران تميل لفرض شروط المنتصر في مسارها الموازي، فإن هذا يفتح على سؤال حقيقة انتصار النظام الذي أخذ يتآكل في كل الجبهات تقريباً، لكن السؤال الأهم عما يمكن لإيران أن تقدمه لجيرانها في دول الخليج، ابتداء من مشكلة الجزر الثلاث المتنازع عليها منذ عقود، أو فيما يتعلق بالساحة السورية، فطهران ما زالت تعتقد أن الأسد هو الضمان الوحيد لنفوذها الحالي في سورية.

نستطيع من خلال القراءات المتعددة التي تصدر في إيران أو حولها، التأكيد بأن وهم الاعتدال الذي يسعى حسن روحاني لتسويقه مازال يرتطم بصلابة الحقائق التي أفرزتها الثورة السورية، وبأنه ذلك الوهم لن يستطيع أن يعيد عقارب الساعة إلى الوراء، وربما لن يُتيح لإيران بعد فترة فرصة حماية مصالحها أو استعادة شيء من المليارات التي دفعها لإبقاء نظام ثبت موته سريرياً لأيام إضافية في غرفة الإنعاش.

حرية - السنة الثانية - العدد (٨٤) ٢٠١٤/٤/١٤

رنكوس: ضرورة مراجعة الاستراتيجية العسكرية

نبيل حيفاوي

البطولات العظيمة التي أبداها مقاتلو كتائب الثوار في رنكوس مؤخراً, وقبلها يبرود والقصير وقلعة الحصن وسواهم, لا يمكن للمرء إلا الانحناء لرجالها والترحم على شهدائها.

غير أن ما تكرر في أكثر من موقع, وكانت نتيجته سلبية عسكريا وميدانيا, وعلى المستوى الشعبي, وفي الجانب المعنوي للحاضنات الشعبية للثورة, وللكتائب المقاتلة, يفرض بالضرورة مراجعة جادة لما جرى, دون مكابرة, لا فائدة منها سوى جلب الكثير من السلبيات للثورة والثوار.

لقد خاض الثوار وبكل بسالة معارك الدفاع عن مساحات من الأرض, بما هو متواجد عليها من مدن وبلدات. وكانت خواتيمها النهائية خسارة تلك المواقع, واضطرار الثوار للانسحاب نحو مواقع جديدة.

واقع الحال هذا يطرح سؤالاً أساسياً ومركزياً, يتصل بالعلوم العسكرية, المبنية على تجارب الحروب, بما فيها حروب الثورات الشعبية في أكثر من مكان في هذا العالم.

يقول السؤال:

هل يجوز التشبث بالأرض, في ظل موازين قوى مختلة بشدة, بين ما تملكه الثورة, وما يتوفر للسلطة من امكانات, في السلاح والذخيرة وطرق الإمداد, وفرق الاستطلاع, وشبكة الاتصال, وبين ما تملكه الثورة من امكانات محدودة جدا مقارنة مع النظام, جيشه وميليشياته واجهزته الأمنية؟

الثورة لا تستند فقط إلى الروح المعنوية للثوار, وإرادتهم الصلبة, واستعدادهم العالي للتضحية بأرواحهم. لذلك لا تكفي هذه العوامل لتكون مصدراً فريدا للقرار العسكري, في عملية التشبث بالأرض, أو لحظات التراجع والتقدم والانسحاب, وتحديد جهة التراجع والانسحاب.

وعلى العموم الثورة, كل ثورة, وأية ثورة, تحتاج للتشبث بمواقع ثابتة على رقعة جغرافية محددة, إلى عدد من الشروط, وأهمها:

أولاً: قاعدة خلفية آمنة, خارج حدود البلد أو داخله, توفر الإسناد والإمداد, كما تشكل موقعاً للتراجع عند الضرورة, وتوفير الدفاع عن الذات في حال تكتيك التراجع .

ثانياً: ضمان مصادر الدعم بالذخيرة والسلاح, سواء من القاعدة الخلفية الآمنة, أو من مصادر أخرى مع ضمان طرق الإمداد الآمن.

ثالثاً: توفير شبكة اتصال دقيقة ومحمية قدر الإمكان, حيث التنسيق في النيران, وفي الاستطلاع, والقدرة على إعادة الانتشار خلال المعركة, هي أمور غير ممكنة دون الاتصالات لحظة بلحظة, بين الفصائل والسرايا والمجموعات.

رابعاً: مركزة بيانات الثوار عن سير المعارك, وتوخي الدقة والصدق, مهما كان قاسياً قول الحقيقة عندما يتراجع الثوار في موقع, أو يخسرونه كلياً.

ما شهدناه في سير العمليات القتالية من القصير إلى رنكوس مرورا بيبرود, كان مشبعاً بالتخبط والارتباك, خاصة وأن كتائب الثوار بالغت في قدرتها على منع سقوط تلك المواقع, فجاءت لحظات تقدم النظام لتنال من الروح المعنوية لحاضنة الثورة, ولكتائب المقاتلين.

المعركة لازالت على أشدها مع النظام الفاشي وميليشياته المتحالفة معه. وهو يستمد من نجاحاته الأخيرة, اندفاعاً لتكرار ما حققه في القصير ويبرود ورنكوس. ولابد من استدراك حصول المزيد من التراجع والخسارة غير المحسوبة بشكل دقيق ومسبق.

الأنظار تتجه اليوم للمنطقة الساحلية, وللشمال الغربي من سوريا (حلب وإدلب). وربما تختلف مقومات المواجهة مع جيش النظام هناك. وحتى والاختلاف واضح بين المناطق المذكورة, والمناطق التي خسرتها الثورة, فلا يمنع ذلك ضرورة رسم استراتيجية جديدة للمواجهة, تبنى على الاحتمالات المختلفة لسير المعارك, دون استثناء الاحتمالات الأسوأ وأخذها بالحسبان, في حال سير المعارك على الأرض, ومقتضيات التصرف وفق قوانين الحرب, والاستفادة من خبرات الثورات, ولعل ما تراكم في مسار الثورة السورية, شكل افتراضاً, خبرة على القيادات العسكرية للكتائب أخذها بالاعتبار.

اطمئنان نصر اللّه على بشار!

ماجد حمود

خرج نصر الله مؤخراً على جمهوره ومتابعيه, ليعلن, بعد احتلال يبرود, وخلال معركة رنكوس, أنه بات مطمئنا لوضع سلطة بشار الأسد, وفشل كل محاولات إسقاط نظامه.

من الناحية الشكلية المباشرة, يبدو تصريحه دليل ثقة عالية بالنفس, وبالتحالف الذي تشكله طهران وموسكو ودمشق, والاطمئنان على المستقبل.

الأكيد أن انجازات حلفه في معارك القصير يبرود الحصن رنكوس, تحسب تقدما في وضع السلطة السورية, حيث امتلكت في تلك المعارك, جزءاً مما يطلق عليه: زمام المبادرة. غير أن البناء على تلك الإنجازات, والقول: إن خطر سقوط السلطة, وكذلك التقسيم, ارتفعا نهائيا, يبدو رغبة وأمنية, أكثر منه استنتاجا صحيحاً.

فنصر الله, كما يقولون:» بنى على الحبة قبة».

لم ينظر نصر الله, أو أنه لم يرق له النظر, إلى المساحة الكبيرة التي تجري فيها المعارك على امتداد الأرض السورية. فمن حلب والساحل, وكذلك الجنوب في درعا والقنيطرة, تجري الأمور على عكس ما يرغب نصر الله, وبالشكل الذي يدحض استنتاجاته التي صرَح بها مؤخراً.

لا يفوت نصر الله حقيقة ما يجري على امتداد الأرض السورية, لكن ضرورات الخروج بهذا التصريح تكمن في حسابات أخرى، أهمها:

أولاً: التململ الشعبي في حاضنة الحزب من أرتال التوابيت, التي تصل يومياً إلى البقاع والجنوب والضاحية, وظهور أسئلة بين الناس عن المدى الذي ستصل إليه عملية انخراط أبنائهم في الحرب الدائرة في سوريا, خاصة وان ذريعة «حماية المراقد الشيعية» لم تعد مطروحة, فهي «محمية تماماً» من خطر السلفيين والأصوليين الإرهابيين, وما التصريح المذكور سوى رسالة لطمأنة الحاضنة عن قرب انتهاء انخراط أبنائهم في القتال ضد الثورة السورية.

ثانياً: بعد تشكيل الحكومة اللبنانية, برئاسة تمام سلام, وما جاء في بنود الاتفاق في بيانها الوزاري, بإظهار قضية السلاح خارج الشرعية, وباعتبار الانخراط في الحرب على الأرض السورية يهدد لبنان, والدعوة لإنهاء كل أشكال التدخل اللبناني في سوريا, كان تصريح نصر الله بمثابة «منصة» ربما للقفز خطوة للوراء في موضوع التدخل, إن لم يكن باتجاه إنهائه, فهو على الأقل نحو تخفيف حجمه, واختصار مساحته, للتكيف مع بعض مواقف القوى السياسية اللبنانية المشاركة في الحكومة.

ثالثاً: إرسال إشارة للمجتمع الدولي, المهتم بالملف النووي الإيراني, تفيد بأن نظام بشار, الذي يعمل وفق الأجندة الإيرانية, بات في أمان من الأخطار, وتوظيف ذلك في خدمة المفاوض الإيراني, الذي يحاول بالاعتماد على انخراط إيران وحزب الله في الامساك بملف الأزمة السورية, إظهار قدرته على تحريك مختلف الملفات بالمنطقة, والملف السوري من أهمها بنظر الدول الكبرى, ولقد أعلنت طهران مؤخراً أنها في تدخلها بسوريا, إنما تقوم بالدفاع عن طهران.

أما وأن نصر الله, استبعد أيضاً خطر «تقسيم» سوريا, فهو لم يوضح من هي الجهة التي يمكن أن يعتبر «التقسيم» خطاً تراجعياً في حال تقهقرها. وهنا يعرف الجميع أن إطلالة فكرة التقسيم, كانت ترد خلال الحديث عن تقهقر قوات النظام, وعجزها عن السيطرة على الأراضي السورية, فهل هو اعتراف من نصر الله بوجود هكذا تداول بأوساط حلفه؟ أم أنه اتهام مجاني فارغ لقوى الثورة والمعارضة؟ في الحالتين, لا تقرأ تصريحات حسن نصرالله دون فهم خلفيات أبعد مما ورد في عباراته!

النزوح السوري الكبير

تحقيق: نوار الحموي

تحولت مئات المدارس في سورية إلى مراكز ايواء للسوريين والفلسطينيين النازحين الهاربين من الموت، في إحدى هذه المراكز بدمر، التقيت وجهاً لوجه مع الألم والحزن والتشرد والنزوح، حدث ذلك بتاريخ ٢٨ـ ٤ـ ٢٠١٤، حيث تتكفل وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين «الأنروا» هنا بإغاثة كل من يصل إلى هذه المراكز «سوريون و فلسطينيون» أعرف من موظف الأونروا «أسعد» أنّ الوكالة ومنذ بداية الثورة السورية بدأت بتقديم الإغاثة للسوريين والفلسطينيين معاً.

من المدخل الرئيسي لمركز الإيواء في دمر، يستقبلك النازحون بنظراتهم وأرقهم الطويل، معظمهم من النساء والأطفال، فالشباب والرجال يتوزعون بين معتقل أو مفقود أو شهيد، أو هارب من الاعتقال، ويكتشف الزائر أن هؤلاء كانوا قبل نزوحهم فقراء، وجاء النزوح ليزيدهم بؤساً، يأخذني «أسعد» إلى غرفة المتطوعات اللواتي يقدمون خدماتهم الطوعية على مدار النهار وقسم من الليل، «ليلى» في عقدها الثالث، آثرت تقديم خدماتها لهؤلاء النازحين، تبدأ حديثها عن الجداول اليومية والأسبوعية التي حضرتها من أجل توزيع أدوار شطف المطابخ والحمامات والساحة الرئيسية في المركز، حيث يلتزم الجميع بها.

وتتابع: هذا المركز يضم حوالي الـ٢٢٠ إنسان، بعض الأسر تعيش نزوحها الرابع، نحن نجهز دورات متواصلة لتدريب النسوة على مهارات ومهن متنوعة، مضافاً إلى دورة في الدعم النفسي التي تعتبر جزءً من البرامج التي تقدمها وكالة الغوث لجميع النازحين، طلاب المدارس من الحلقة الأولى نقوم بتعليمهم، حيث خصصنا غرفة كبيرة لهذا الغرض، وفيما هي تتحدث كان «أسعد» مشغولاً بحضورالطفلة (رؤى) بنت الأربع سنوات الهاربة مع أهلها من داريا، «أسعد» يعامل رؤى مثل بناته، يتفقدها يومياً ويسأل عن أحوالها.

تنشغل ليلى قليلاً بطفل جاء من أجل استعارة كرة القدم، بينما يقترح «أسعد» أن نقوم بجولة في المركز، نمشي في الممر الطويل، نشاهد صورة الطاغية بشار، يلاحظ أسعد ذلك، فيشرح لنا أننا هنا لا نخوض أي نقاش سياسي ولا نتدخل نهائياً في السياسة، فثمة عمل إنساني يجمعنا، حيث نقدم الخدمات الإغاثية لكل من هو موجود عندنا وضمن دائرة عملنا، مهما كان رأيه السياسي، يقف أمام أحد الغرف الكبيرة التي قسمت إلى غرفتين، حيث تسكن أسرة من مخيم فلسطين في الغرفة الأولى، قامت وكالة الغوث بكل أعمال التقسيم والخدمة العامة، حيث تنقسم الغرف بجدران صناعية، في الغرفة التي ضمّت في لحظة وصولنا طفلاً في عمر الثامنة، في الغرفة عدة اسفنجات، وحصير وعدة بطانيات، ومدفأة مازوت.

في غرفة مجاورة امرأة وأطفالها نزحت منذ أكثر من عامين من داريا، الأم التي تتكتم على مصير زوجها، تحكي لنا عن معاناتها ونزوحها الثالث الذي أوصلها إلى هنا، وهي التي تتكفل حالياً بتربية أولادها الأربعة، كما أن أهلها نزحوا وتوزعوا بين عدة مناطق في سوريا وبعضهم وصل إلى الأردن.

المتطوعة الثانية في المركز «وفاء» تحكي لنا عن استقبالهم منذ أيام لنازحين جدد من قدسيا، حيث تمّ تأمين بناء على العضم لهم، وقامت بتخديم أولي للبناء شمل تأمين حمام في كل طابق وتواليت واحد، وتأمين أربعة خزانات ماء للبناء، وأغلقت النوافذ بستائر النايلون، وتوزع النازحون الجدد هنا، بينما عجزت الوكالة ومعها منظمة الهلال الأحمر

السوري عن استقبال أعداد جديدة.

تذكر«وفاء» قصة ذلك الرجل الذي كان قد استأجر في قدسيا بيتاً ودفع أجرة ثلاثة أشهر سلف، وبدأ قصف النظام على قدسيا، ليجعله بعد عشرة أيام نازحاً هنا في هذا المركز. يصل النقاش إلى الخلافات اليومية التي تحدث بين النازحين هنا، خلافات تحدث لأسباب كثيرة، فالأمزجة مضطربة، والأعداد كبيرة في أماكن محددة.

قبل أيام من زيارتي لمراكز الإيواء ذهبت لزيارة أسرة نازحة من داريا وتقطن في بيت مستأجر في جرمانا، في البيت الذي يجمع أكثر من عشرين فرد، حدثتني «أم عادل» التي استشهد زوجها تحت التعذيب في معتقلات النظام منذ حوالي العام، عن تدني المستوى التعليمي لابنها «عادل»، «الصف السابع»، ويعاني من ضعف في مادة اللغة الانكليزية، ويتابع شغله في النجارة بعد الظهر من أجل تقديم العون المادي لأسرته، «عادل» الذي يتعامل مع أخوته وأخواته الخمسة كمسؤول عنهم بعد استشهاد والده، تشعر أنه مِرجل يغلي ونحن نتحدث عن الوضع العام في البلد، الجدّة حدثتنا عن بقية أبنائها المعتقلين في سجون النظام، وكيف تمكنت منذ عدة أشهر من زيارة أحدهم في سجن صيدنايا ودامت الزيارة خمس دقائق، بينما كان جواب فرع الشرطة العسكرية في القابون لها منذ أيام أنه لا يوجد معتقل بهذا الاسم؟

تتساءل باكية: هل قتلوه أيضاً؟

«أسعد» يحكي بحرقة أنّ هؤلاء الملايين من النازحين السوريين والفلسطينيين في الداخل والخارج ليسوا أرقاماً، فلكل واحد منهم حلم دفن عبر النزوح، ولكل أب حكاية ماتت بسبب نزوحه.ولكل أمّ أمنيات قتلها النزوح.

ومن الحوادث المؤلمة أيضاً ما نقلته قناة «العربية» بتاريخ ٣ ـ ٤ ـ ٢٠١٤ حول إقدام شاب سوري نازح في لبنان على الانتحار وذلك عن طريق رمي نفسه من الطابق الخامس، و ذلك بعد أوصى مذيع العربية مشاهديه ضعاف القلب بأن الفيديو قاسي.

وتستمر المأساة السورية، ويستمر النزوح الذي يتغير اسمه من نزوح إلى لجوء مع وصول النازح إلى بلد مجاور، لا بل إن الفضائيات العربية والأجنبية ووكالات الأنباء العالمية والصحف والمواقع اللكترونية وجدت أمامها آلاف المواد الإعلامية اليومية المتعلقة بالكارثة السورية الكبرى ومنها النزوح.

صحيفة الشرق الأوسط نشرت بتاريخ ٢٣ ـ ١١ـ ٢٠١٣ تحقيقاً صحفياً حول اللاجئين السوريين الذين وصلوا إلى بلدة عرسال اللبنانية بعد بدء المعارك بين الثوار وقوات النظام السوري في يبرود، في هذا التحقيق تصرخ امرأة سورية اسمها «نائلة عزيز» وتحتاج إلى عملية قلب سريعة قائلة أمام الإعلاميين: «لم يعد أمامنا أي حل سوى أن نحفر قبورنا بأيدينا وندفن أنفسنا في التراب».

ونحن نتحدث عن كارثة النزوح السوري، لا يمكن أن ننسى زيارة الطاغية لأحد مراكز الإيواء في عدرا منذ مدة قريبة ولا نجد أبلغ من تعبير الإعلامية اللبنانية ديانا مقلد حيث وصفت تلك الزيارة بقولها: «حين يلتقي الأسد ضحاياه» فتذكر: «بعد ثلاث سنوات من مشاهد الموت السوري، هانحن أمام ذروة درامية تلك المأساة، لحظة لقاء الأسد بعشرات من النازحين، هي لحظة لقاء قاتل بضحاياه» وتكمل: «فحين يسأل الرئيس سيدة دامعة تستجدي أن يجد لها زوجها المفقود، فلنا وحدنا أن نتخيل المعنى المضمر في السؤال، والجواب: «هوني عليكي واشكري الله أنني لم أقتلك معه»، أو حين ربت على كتفي الصبي الجالس في حلقة مع أطفال، لعله كان يعني «كيف نجيتم من براميلي أيها الصغار، في المرة القادمة سأتحقق من أن تكون الإصابات أكثر دقة».

حرية - السنة الثانية - العدد (٨٤) ٢٠١٤/٤/١٤

ذكريات طفولة ضائعة

مفوضيّة شؤون اللاجئين ٧ نيسان ٢٠١٤

يصل السوريون يومياً إلى أنحاء لبنان، والأردن، وتركيا، والعراق، ومصر، بحثاً عن الأمان من الحرب التي غدت أسوأ الأزمات الإنسانية في التاريخ الحديث. بمعدّل يصل إلى نحو ١٢,٠٠٠ لاجئ أسبوعياً يعبر السوريين إلى لبنان, وتحتاج المفوضيّة إلى التمويل بصورة عاجلة لتغطية كل أعمال إنقاذ الحياة.

اليوم، أصبح ربع تعداد سكان لبنان من اللاجئين السوريين، وأغلبهم من النساء والأطفال. وعلى الرغم من فرارهم من صدمات الحرب اليومية، إلا أنّ العنف والخوف الذي مر بالكثيرين أو شهده الكثيرون في سوريا سيظل عالقاً في أذهانهم مدى الحياة. وفيما يلي ما قاله بعض الأطفال الذين تحدثنا إليهم مؤخراً:

مجاهد

يُعَلِّم مجاهد، ١١ عاماً، شقيقه الأصغر اللغة العربية بالتدريج. يبدو مجاهد مهتماً جداً بالانتهاء من «الدروس» في أسرع وقت ممكن، إلا أن والدته «نفار» تصر على أن يمضي بعض الوقت في القراءة والكتابة مع شقيقه كل يوم. غادر مجاهد سوريا منذ ما يقرب من عامين. فحين اشتد قصف مدينته حِمص، قررت عائلته الكبيرة الممتدة ضرورة المغادرة كي تنجو بحياتها.

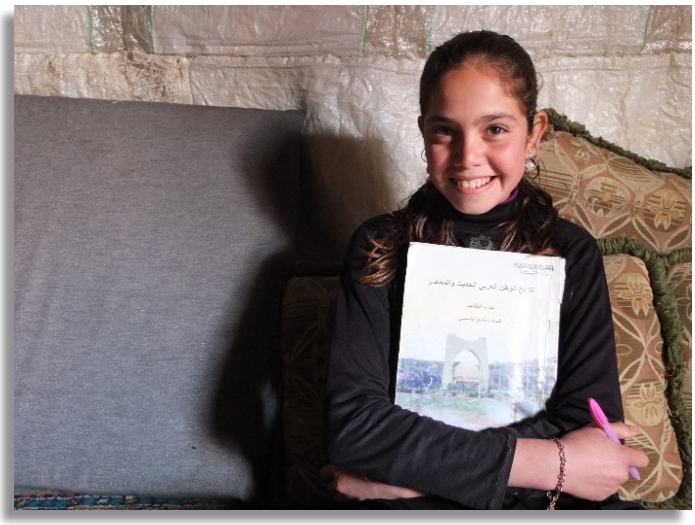

تعيش عائلة مجاهد اليوم في خيمتين كبيرتين في مخيم غير نظامي بوادي البقاع اللبناني. أصيب والده بسكتة دماغية، وتكافح الأسرة لكسب ما يكفي لسد الرمق. ولكن، بفضل المفوضة لا يزال مجاهد يرتاد بالمدرسة، على الرغم من أن كل أشقائه الأكبر يعملون من أجل تلبية احتياجات الأسرة. التحق مجاهد منذ بضعة أشهر بإحدى المدارس الابتدائية المحلية اللبنانية، وهو يذهب حالياً بعد ظهيرة كل يوم لحضور فصول فترة الدوام الثانية. يُعد مجاهد أحد الأطفال المحظوظين؛ فلا يزال مئات الآلاف من الأطفال في سن المدرسة بلبنان غير مقيدين بالمدارس. تواصل المفوضية عملها الدؤوب لإيجاد الحلول.

شريفة

تتلعثم شريفة في الكلام عندما تتذكر الشهور الأخيرة القليلة من حياتها في مدينة حِمص بسوريا وتصفها. تتذكر الخوف، والظلمة، والأيام المملة التي قضتها دون أن تذهب إلى المدرسة؛ تلك الطفولة والبراءة الضائعة وسط حرب مستعرة ممتدة لثلاثة أعوام. تقول شريفة البالغة من العمر ١٢ عاماً: «كانت الظلمة أكثر ما يخيفني. كان إطلاق النار ينهال كالمطر، وكانت شقيقتي تأتي لتجلس معي عندما أكون خائفة. أتذكر سقوط القنابل أيضاً». فرت شريفة مع أسرتها عبر الحدود اللبنانية منذ ما يقرب من عام. وتعيش شريفة اليوم، وهي الأصغر في أسرة تتألف من ستة أفراد، مع والديها في خيمة بوادي البقاع، ولم تَعُد حياتها الماضية سوى ذكريات.

«كنا نملك في سوريا بيتاً كبيراً جميلاً يتكون من ست حجرات، ولكن عندما بدأت الحرب، اضطررنا إلى النوم جميعاً في غرفة واحدة».

تشعر شريفة بصعوبة الحياة في الخيمة. لقد أدت الأمطار المستمرة والثلوج المتساقطة خلال أشهر الشتاء إلى إحداث فوضى في المكان ولا تزال الخيام حيث تعيش مشبعة بالمياه، كما أن كل ما يحيط بها مكسو بطين سميك كريه الرائحة. تُعد الخيام التي تعيش فيها أسر كأسرة شريفة بسيطة، وحتى مع ما أمدتهم به المفوضية من لوازم الشتاء من بطانيات إضافية ومدافئ صغيرة، تقول شريفة إنها غالباً كانت تشعر بالبرد لأن الشتاء كان قارساً.

العلم هو الحياة

في حين تُعد الحياة كلاجئ أكثر من صعبة، فبفضل جهات داعمة مثلكم، تمكنت شريفة حالياً من العودة إلى المدرسة. وبفضل التمويل الحيوي، تداوم شريفة الآن في صفوف «فترة الدوام الثانية» في إحدى المدارس الابتدائية المحلية اللبنانية، وهي مستمتعة بفرصة التعليم التي أتيحت لها في لبنان.

«المدرسة هنا جيدة جداً. أذهب إليها بعد ظهيرة كل يوم لحضور فترة الدوام الثانية. أتعلم اللغة الفرنسية، فأنا أحبها جداً ولم أكن أتعلمها في سوريا».

«التحق كل أشقائي بالمدرسة. يريد والدنا أن نذهب جميعاً إلى المدرسة ونتعلم القراءة والكتابة. كانت شقيقتي الكبرى على وشك الانتهاء من دراستها الثانوية عندما بدأت الحرب. أتمنى أن أصل أيضاً إلى هذه المرحلة».

«لا يستطيع الكثير من الأطفال هنا القراءة أو الكتابة جيداً وذلك لأن آباءهم يجهلون القراءة والكتابة. كما يشعر أولياء الأمور بالقلق إزاء إرسال أبنائهم الصغار إلى المدرسة، ويتحتم على الأطفال الأكبر سناً العمل».

«كم أحب المدرسة، وكم كنت أفتقدها حين حالت الظروف دون ذهابي، لذا أنا سعيدة لأنني التحقت بها مجدداً. عندما أكبر أود أن أصبح طبيبة أطفال».

طيف

نظراً لوجود ما يزيد عن مليون لاجئ سوري حالياً في لبنان، لا تكافح المفوضية فحسب من أجل توفير لوازم الإغاثة والخدمات الأساسية لأكثر فئات اللاجئين ضعفاً، بل إن ما تبقى لها من تمويل لدعم برامج حيوية كالتعليم قليل للغاية. يُعد دعمكم ضرورياً الآن، إذ يمكن أن يوفر التبرع المقدم منكم اليوم مكاناً في المدرسة لفتاة يافعة مثل طيف... تقول طيف بلغة إنجليزية متقنة: «أريد أن أصبح مهندسة ميكانيكية، ولكني لا أذهب إلى المدرسة منذ أكثر من عام».

فرت الفتاة الممشوقة القوام البالغة من العمر ١٤ عاماً من وطنها الذي مزقته الحرب منذ ستة أشهر مع والديها وأشقائها التسعة. وبعد عبور الحدود، وجدت الأسرة مأوى لها في أحد المخيمات غير النظامية بالقرب من مدينة زحلة في وادي البقاع. تقول طيف إن الحياة في الخيمة صعبة، والشتاء كان طويلاً، «لا أتمنى سوى أن يحل السلام حتى نتمكن من العودة إلى وطننا وأتمكن من العودة إلى الدراسة».

تقول طيف إنها كانت تحب الذهاب إلى المدرسة في سوريا. وكانت الرياضيات هي المادة التي تفضل دراستها، ولكنها كانت تدرس أيضاً اللغة الإنجليزية، واللغة العربية، والعلوم، والتربية الوطنية، وكانت تأمل في أن تلتحق بالجامعة مثل أشقائها الكبار. ولكن مع امتداد الحرب إلى أنحاء البلاد، توقفت الخدمات الأساسية، وبمرور الوقت، فرت طيف من سوريا مع أسرتها، وتوقفت عن الدراسة لمدة ستة أشهر إلى الآن.

«كنت أستمتع كثيراً بالذهاب إلى المدرسة. لقد أحضرت كل كتبي المدرسية معي عندما غادرت سوريا حتى أتمكن من مواصلة مراجعتها، فقد تكون مفيدة هنا».

على الرغم من أن طيف كانت طالبة متفوقة في الصف التاسع في سوريا، تتطلب المناهج اللبنانية المختلفة أن تلتحق بالصف التاسع مرة أخرى في لبنان. ولكن نظراً لوجود نحو ٢٠٠,٠٠٠ طفل لاجئ في سن المدرسة بلبنان، تُعد الأماكن المتوفرة في الفصول المتقدمة محدودة، ولم تجد طيف مكاناً لها إلى الآن.

«آمل أن أذهب إلى المدرسة هنا. لا أجد ما أفعله هنا. أبقى في الخيمة وأساعد أمي أو ألعب مع أفضل صديقاتي؛ مايا».

للإطلاع:

http://www.unhcr-arabic.org/5342794b6.html

السويداء جمر تحت الرماد

ريان أبو جبل

قادت مجموعة من مشايخ الدين هذه المرة دفة التصعيد ضد القيادات الأمنية متمثلة بالعميد «وفيق ناصر» رئيس فرع الامن العسكري بالسويداء, تبعها تصعيد كبير لمواجهة رموز السلطة الدينية ومشيخة العقل المحكومة بأوامر القصرالجمهوري.

في يوم الثلاثاء ٨-٤-٢٠١٤ أقدم مجموعة من المشايخ الشباب الغيورين على مهاجمة ساحة السرايا رداً على مشاركة سيدة مرتدية لباس ديني درزي وتتباها بصورة بشار وتتمايل بين زمرة من المحتفين بالدعوة لانتخاب الرئيس السوري للمرة الثالثة, فطردت من المكان وحصل الاشتباك بالأيدي مع جموع الشبيحة وتحطيم الخيمة المنصوبة وأجهزة الصوت واللوحات والصور المنتشرة استنكاراً .

قام الامن العسكري باعتقال «الشيخ لورنس سلاّم» الذي شارك بالمصادمات, وراحت الصفحات الموالية على الفيسبوك تنشر معلومات مفادها ان الامن يلاحق خلايا نائمة مرتبطة بالمجلس العسكري الثوري بالسويداء .... وتتهم الشيخ المعتقل بتصنيع قاعدة حديدية على بيك آب لنصب الدوشكا عليه , أو تصنيع هاونات للجيش الحر ..

يوم الأربعاء : انطلقت الى بلدة «السهوة» الجبلية مجموعات مسلحة من المشايخ ساخطة غاضبة تستثير النخوة لتعتصم عند شيخ العقل «الحناوي»، احتجاجاً على اعتقال الأمن العسكري للشيخ المذكور, مطلقين الأعيرة النارية بالهواء ومتوعدين بمواجهة الأمن العسكري بالقوة اذا لم يستجب لطلبهم, ورغم وصول خبر اطلاق سراح شيخهم, تابع المحتشدون طريقهم الى بلدة «عرى» حيث دار الإمارة وقاموا بالاعتصام هناك مطورين مطلبهم الى «اقالة العميد رئيس فرع الأمن العسكري من منصبه».

وتابعوا طريقهم الى «عين الزمان» ليعتصموا مجدداً في وسط مدينة السويداء المقر الديني المركزي للدروز,

المشايخ الشباب كانوا مسلحين وحاضرين لأي مواجهة مع الأمن ولوحوا بمهاجمة مقر فرع الامن العسكري بالقوة لتحقيق مطلبهم الجديد. وقاموا بتقذيع أحد قادة مجموعات الشبيحة المستجير بشيخ العقل «المقاول الشبيح غسان قرضاب» الذي حذر من وحشية النظام وإمكانية «قصف السويداء بالطيران» فيما لو استمروا بالاعتصام. ثار المعتصمون وقطعوا الطريق المحوري العام رداً على التهديد.

وقام شيخ العقل «يوسف جربوع» بتهدئة الحضور قائلاً (أبلغت القيادة بالموضوع وطلبت نقل العميد «وفيق ناصر» لدرء تصعيد غير محمود من المشايخ الغاضبين) حينها فض الاعتصام الذي دام اكثر من ساعتين.

في يوم الخميس: سارعت توجيهات القصر الى مشايخ العقل الثلاث لاصدار بيانات موقعة منهم تدعو الى ضبط النفس وعدم مشاركة رجال الدين بحمل السلاح, تحت طائلة المحاسبة الدينية (البعدة).

يوم الجمعة: جاء رد مجموعات المشايخ الشباب المسلحة على هذه البيانات مدوياً في لقاء كبير جمعهم ببلدة «المزرعة»: فطالبوا بسحب البيانات وتنفيذ اقالة العميد ناصر ومنع التواجد الأمني في قرى الجبل الغربية المتاخمة لحوران لوقف تسعير نار الفتنة تحت طائلة المواجهات المسلحة المفتوحة معهم, وتم مبايعة الشيخ وحيد البلعوس رئيساً مؤقتاً للزعامة الروحية ليمسي مرجعيتهم خلال الأحداث القادمة.

إن مجموعات المشايخ هؤلاء تتحضر منذ سنة للدفاع عن محافظة السويداء من سوء النظام وغيره, هذا النظام المستهتر والمزيّف لموقف الدروز, من خلال مشايخ مأجورين (أيمن زهر الدين – كميل نصر..) يبرزهم على الاعلام ليبينوا أن الدروز في خندق بشار ضد الثورة, و بعد قضاء عدد كبير من ناشطي السويداء تحت التعذيب في فروع الأمن العسكري بدمشق والسويداء بالآونة الأخيرة وتمادي القوى الأمنية والشبيحة المتحكمين في قرار المحافظة, فضلا عن مسعى دائم لإثارة الفتنة وتسعير جبهات مفتعلة على التخوم حول المحافظة (داما, لبين, رشيدة...) باختلاق مواجهات تارة مع «البدو» وغيرها مع مجموعات مسلحة تحيط بالجبل غرباً وشرقاً حسب مزاعمه, بعد فشله الذريع بإشعال نار الفتنة بين الدروز وأهل حوران السنّة, وتصاعد حالات الاختطاف التي رفضها الثوار والأهالي في كل من السهل والجبل على السواء.

إنها تباشير تحرر السويداء من تحت سطوة النظام ، وعلينا أن نتقبّل خيارات السويداء التي تأخرت على نار هادئة, والتي لم تجد في البقاء تحت سيطرة النظام كرامةً وأماناً, وبالمقابل لم تجد لها مكاناً بين أصحاب الأعلام السوداء، إن تحت رماد المشهد الجبلي جمر يستعر.

تغيير الأسماء.. فقط

ياسر عطا الله

يمضي النظام السوري قدماً في تأسيس ما يسميه (كتائب البعث)، ومنذ بضعة أسابيع بدأت هذه الكتائب بالإعلان عن نفسها عبر ملصقات دعائية تحمل شعارات البعث المعهودة «الوحدة والحرية والاشتراكية» محلاة بنكهة علمانية أضيفت لتلائم المزاج الذي يحاول النظام نشره هذه الأيام.. ومن الطبيعي أن تأتي كتائب البعث بصحبة شقيقاتها كتائب الجبهة الوطنية التقدمية. منذ أيام انتشر هذا الملصق على جدران دمشق وريفها: «الدفاع الوطني السوري ـ فرع الوحدويين الاشتراكيين..». ويقال إن هذه الكتائب ستتولى كثيراً من مسؤوليات اللجان الشعبية وجيش الدفاع الوطني، وربما تحل مكانهما.

البعض فسر هذه الخطوة بـ «حاجة النظام إلى قوات رديفة وإلى احتياطي بشري يرفد الجيش النظامي ويعوض خسائره الفادحة»، والبعض الآخر قال إنه يعد لمقاتلين يستخدمهم في حرب الشوارع. أما الرواية الأكثر شيوعاً فهي التي تقول إنها «صحوة متأخرة وتراجع عن فكرة الميليشيات ذات الخلفية الطائفية، وبالتالي فنحن أمام تغيير في طبيعة الحشد الذي يقوم به النظام، فبدلاً من جماعات طائفية ومحلية فهو يريد استنهاض قاعدته المفترضة، من قوميين وعلمانيين واشتراكيين، في وجه القوى التي ترفع الشعارات الدينية»..

يحتاج النظام بالفعل إلى قوات رديفة، وإلى (خزان احتياطي بشري)، أما الحديث عن استخدام الكتائب الجديدة في حرب العصابات، فيبدو بعيداً عن الواقع، إذ يصعب أن يقوم هؤلاء المتطوعون بما عجزت عنه نخبة النظام العسكرية وبقية ميليشياته.

المسألة لا علاقة لها بحرب عصابات ولا بقتال شوارع، وكذلك هي أبعد ما تكون عن صيغة جديدة للحشد، أو تغيير في جوهر التحالف وطبيعته. إنها مجرد تزيين للاستراتيجية التي اعتمدها النظام منذ البداية: تحالف الأقليات في وجه الأكثرية (السنية) التي تشكل خزان الثورة.

قراءة النظام لا تزال على حالها، فليس هناك ثورة شعبية ولا مطالب وطنية، بل جماعات متشددة تتمرد لأسباب مذهبية، وتلعب على عصبية تجمعها بالأكثرية الغالبة من السوريين، لذلك فلا بد من مجابهتها بعصبية مقابلة، عصبية أقلوية تجمع العلويين والمسيحيين والدروز والاسماعليين..

لقد كانت اللجان الشعبية مجرد خطوة أولى تطورت واكتملت مع جيش الدفاع الوطني، واليوم والنظام يخاطب الغرب والرأي العام العربي باسم العلمانية والمدنية (في وجه السلفيين المتطرفين) فهو يحتاج إلى صيغة ملائمة (ولو أنها عتيقة) محاولاً إحياء أسطورة «البعث العلماني» ، فهي على علاتها تبقى أفضل له من شبهة تحالف الأقليات.. ولكن، مرة أخرى، فالأمر يتعلق بتغيير الأسماء وليس المسميات.

حرية - السنة الثانية - العدد (٨٤) ٢٠١٤/٤/١٤

القيامة الآن.. في سوريا!

خالد الحلبي

«سورية مقبلة على نزفٍ بطيء، والنظام والمعارضة، مقبلان على حرب استنزاف، إذ إن مسؤولاً غربياً، قال إن سورية ستكون فيتنام إيران. كما أن استنزافاً سيحصل بين حزب الله وجبهة النصرة. ولن يُسمح للنظام بالانهيار الكامل في جميع مناطق سورية أمام انتشار خطر المتشددين. ولن يُسمح أن تُمنى المعارضة وما تبقى منها من المعتدلين بهزيمة نكراء. بالتالي، فإن سعي النظام إلى استعادة السيطرة الكاملة على الأراضي السورية، وإعادة عقارب الساعة الى ٢٠١٠، إذا كان أحد من المسؤولين في دمشق مقتنعاً به، لا يعدو كونه سراباً. وكلما اقترب الحسم العسكري من خواتمه، تبيَّن أنه سراب، مثله مثل الوهم إذا كان أحد المعارضين يعتقد أنه في الوقت الراهن سيصل إلى القصر الرئاسي في دمشق..».

هذه العبارات ليست منسوخة من «رؤيا يوحنا» القيامية ولا من أحد الكتب الباطنية التي تتفنن في وصف يوم الحشر. إنها ببساطة مقتبسة من تقرير أعده صحفي سوري (ابراهيم حميدي) من وحي مداولات في مراكز قرار غربية. ولماذا كل هذا الشر في التوجهات الغربية نحو سوريا؟ لماذا يريدونها دولة محطمة تستنسخ النموذج الصومالي؟

يعزز هذا الكلام من نظرية المؤامرة المعشعشة في هذه المنطقة من العالم، ويجعل من «الحقد الغربي الأعمى علينا» نموذجاً تفسيرياً وحيداً لجميع الأحداث الدائرة في سوريا خاصة. ولكن إذا صحت معلومات التقرير الصحفي إياه فالأرجح أننا أمام استجابة غربية لتطورات الأحداث، وليس أمام رؤية استراتيجية متكاملة. بمعنى آخر: فالغربيون توصلوا إلى هذا السيناريو بعد أن وصلت الأمور في سوريا إلى ما وصلت إليه، دون أن يكونوا هم من خطط للوصول إلى هذا الوضع.

لقد فاجأت الثورة السورية واشنطن وأربكت حساباتها. في البداية قررت الانتظار مع شيء من الضغط على النظام كي يقدم على تنازلات مرضية تنهي الأزمة وتعفي الأمريكيين من الحرج والمسؤولية الأخلاقية، ولكن الأمور سارت في منحى آخر. تصعيد من النظام أفرز ظاهرة المنشقين عن الجيش، وكان هؤلاء مجرد أفراد متحمسين للدفاع عن مواطنيهم ولم يشكلوا ما يرقى إلى بديل محتمل في نظر واشنطن، وما إن كثر عددهم واشتد بأسهم حتى خالطتهم عناصر جهادية أفزعت الولايات المتحدة وذكرتها بسيناريو تكرر في أكثر من مكان: جهاديون يأخذون الدعم من أمريكا وما إن يصلوا إلى مبتغاهم حتى تكون خطوتهم التالية مباشرة هي إعلان الحرب على «الشيطان الأكبر».. تماماً كما حدث في أفغانستان وليبيا وفي العراق (مع اختلاف طفيف)، وهكذا وقفنا ضمن هذه الدائرة المغلقة الجهنمية: الترقب الأمريكي يغذي الفوضى السورية التي تعود بدورها لتغذي التردد الأمريكي.

من جهة أخرى فقد كان التدخل الروسي هذه المرة شرساً ومندفعاً، وقد تلاقى مع استماتة إيرانية في الدفاع عن النظام، الشيء الذي وضع الأمريكيين أمام خيارات صعبة، فإما أن ينضموا إلى الحملة المؤازرة للنظام دون أن يكون لهم أي مصلحة في ذلك، وإما أن يتدخلوا عسكرياً لمجابهة الروس والإيرانيين مع عواقب وخيمة حتى في حالة النصر، فعندها ستغدو سوريا مسؤولية أمريكية وسيتفرغ الروس والإيرانيين للتخريب والابتزاز، في تكرار للحالة العراقية المشؤومة. أما الخيار الثالث فهو ترك الأحداث تأخذ مجراها مع المراقبة والتدخل الحذر وغير المباشر، واستثمار التورط الإيراني في الضغط من أجل الملف النووي، وكذلك استثمار الفشل الروسي في تغيير حسابات موسكو على مستوى العالم..

ولكن هل يعفي هذا الولايات المتحدة من المسؤولية عما آلت إليه الأمور في سوريا؟

لا بالطبع، فالخيار الذي استقرت عليه واشنطن مبكراً ينطوي على انتهازية، خاصة بالمقارنة مع زعمها المسؤولية عن السلام العالمي وحقوق الإنسان وتبنيها لمطالبة الشعوب بالحرية والديمقراطية، وكذلك فهذا الخيار ينطوي على قصر نظر، فأن يعفي الأمريكيون أنفسهم من حرب جديدة فهذا يعد من البداهة، ولكن أن يكون موقفهم الوحيد من حرب اشتعلت في منطقة حساسة ومهمة هو الفرجة فقط فهذا أمر فيه نظر.

يبدو أن أوباما قد فهم الدرس الأفغاني بشكل مغلوط، فصحيح أن حرب بوش على الإرهاب فشلت في القضاء على بؤرة أفغانستان، ولكن هل الرد المثالي على ذلك هو السماح بوجود بؤر إرهاب جديدة؟!

يقول مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق: «إن أمريكا صرفت حوالى ستة تريليونات دولار بعد تفجيرات ١١ أيلول ٢٠١١ لـمحاربة الإرهاب، غير أن النتيجة أن سورية تحوَّلت مولداً ومصدراً للإرهابيين بدلاً من أفغانستان»، فيما يقول مسؤولون أمريكيون آخرون إنه «إذا بقيت السياسة الأمريكية على حالها فعلينا أن نتوقع مئات التفجيرات مثل أيلول، المقبلة من الأرض الخصبة في سورية».. وأكثر من ذلك فقد تحدثت معلومات استخباراتية عن وجود إشارات قوية لاحتمال تعرض دول غربية لهجوم إرهابي مصدره الأراضي السورية، الشيء الذي دفع أكثر من مسؤول أمريكي إلى القول إن سوريا «باتت مشكلة داخلية».

لنعد إلى ذلك المسؤول الغربي الذي قال إنهم سيحولون سوريا إلى «فيتنام إيران». ألا تلا حظون وجود تناقض؟! الغربيون يفاوضون إيران على النووي ويستبشرون خيراً بالتوصل قريباً إلى اتفاق يفضي إلى رفع العقوبات عن طهران ويعيد إليها مليارات الدولارات المجمدة، وفي الوقت نفسه يقولون إنهم يريدون إنهاكها في سوريا.. كيف يستقيم هذا مع ذاك؟ يريدون إنهاكها وإفلاسها هنا ويمدون لها يد العون من هناك؟! ومن جهة أخرى إذا كان الغربيون يصرحون جهاراً بأنهم يعتبرون سوريا فخاً لإيران، فهل يعقل أن يكون الإيرانيون غافلين عن ذلك؟ ألا يفترض أنهم يسعون إلى الخروج من مأزقهم بأسرع السبل وأفضلها؟

المخرج من هذا التناقض يكمن في المعلومات التي تسربت مؤخراً عن وجود ملحق سري لمفاوضات النووي الإيراني يتعلق بالملف السوري. وقيل إن الإيرانيين قدموا اقتراحات جديدة بشأن سوريا وإن الأمريكيين عاكفون الآن على دراستها.. إذاً فالأمريكيون وحلفاؤهم يريدون استثمار التورط الإيراني في سوريا لإجبار طهران على تقديم تنازلات جوهرية في ملفها النووي، وأيضاً إجبارها على الانخراط في تسوية ما للقضية السورية.

ما شكل هذه التسوية؟ وكم تحتاج من وقت؟ وهل سيتبقى شيء من سوريا ريثما تنضج الخطة الغربية وتؤتي ثمارها؟

ويبقى السؤال الأهم معلقاً على شفاه السوريين: ألم يكن هناك سبيل آخر سوى هذه الخطة عديمة الرحمة. سبيل أقل كلفة وأقل ألماً وأكثر انسجاماً مع ما أراده السوريون وحلموا به؟.

حرية - السنة الثانية - العدد (٨٤) ٢٠١٤/٤/١٤

فادي جومر: لم أمتلك سوى قصيدتي لأشارك بها في الثورة

يارا بدر

أفرزت الحاجة التي خلقتها الثورة في سوريا بعد آذار ٢٠١١، بكل قيم التغيّر المجتمعي والثقافي، وحتى الحالة العسكرية، ضرورات للبحث عن أشكال وأساليب تعبير مغايرة عمّا اندرج عليه. شباب الثورة انطلقوا من تهديم التماثيل والصور الثابتة وامتدّت حركتهم لتهديم الخطابيّة الإنشائية المفروضة كقيود على اللغة وأشكال استخدامها. فكان أن لاحظنا نشاطاً لجيل جديد من الكتاب الشباب الذين اختاروا التجريب في القصيدة المحكية، كأسلوبٍ يعبرون من خلاله عن موقفهم من الثورة وكل ما آلت إليه الأمور من تعقيد على المستوى الفردي كما الجمعي.

نجح فادي جومر خلال السنوات الثلاث الماضية في التعاون مع شباب سوريين في تقديم أغانٍ من قصائده، ومن أبرزها أغنية «يسعد صباحك يابنت» التي غنّاها «خاطر ضوّا» في أولى تجاربه. جاء جومر منذ أيام قليلة إلى بيروت، ليعمل على إصدار ديوانه الأول، ونستعير من قصائد الديوان:

(قديش لسا يا عمر؟ / دقّة؟ حلم؟ ساعة؟
لسا وقت تا نقول: حرية
ويصير شو ما صار
يا مشتري الأعمار.. هالروح بياعة..)

فادي ابن القلمون السوري، يمتلك مفردات بيئته ليتغنّى بالشام، وهي المكان الذي يكثر ذكره والتغنّي به في قصائد جومر، في إحدى قصائده يكتب فادي:

(عنّا السما فاقت متل راعي، بالجرد عم بتلم غيماتا،
ومحيّرة.. تشتي ولا بلاها اليوم
وفي هيك نغمة وجع، ما بين كلماتا
قلبي وعي.. جاي ع بالو شام
ورعشة برد .. ومشية ع طرقاتا)

حول اختياره للقصيدة المحكية، وحول غربته الجديدة ومواضيع ديوانه القادم كان ل «حرية» هذا الحوار معه:

*- في ديوانك الأول حضور كبير للحراك الثوري بكل مستوياته؟

**- هذا صحيح. كل قصائد الديوان كُتبت بعد الثورة التي تعيشها سوريا منذ آذار ٢٠١١، باستثناء قصيدة واحدة «والشام إلها نبي». أمّا لماذا؟ فكل ما أستطيع قوله أنه هذا الهاجس مسيطر على روحي. هذا أسلوبي الذي أستطيع من خلاله التعبير عمّا يُلامسني، فأنا أرى أنّ الشعر هو الذي يُعبّر عن الناس. والحراك هو وجع الناس المُستمر في كل لحظة وفي كل دقيقة. وكل ما استطعت أن أقدّمه هو قصيدتي.

*- لماذا اخترت شكل القصيدة المحكية؟

**- يمكنني أن أعدّ الكثير من الأسباب، منها شغفي الخاص بالتراث، وإحساسي بأنّ القصيدة المحكية في سوريا تحديداً مظلومة جداً من قبل الشعراء السوريين، الذين إن كتبوا قصائد محكية فهم غالباً ما يذهبون بها باتجاه لهجات أخرى، حتى ضاع الشعر السوري المحكي بين اللهجات العراقية أو اللبنانية. لكني أعتقد أنّ الأمر أساساً هو ذائقتي الشخصية وهواه.

*- من هذه الزاوية فادي، كيف تنظر إلى القصيدة المحكية الجديدة في العالم العربي التي يقودها شباب الربيع العربي إنّ صح القول؟

**- الشعر المحكي العربي عموماً هو ابن بيئته بشكل أساسي، واستطاع أن يهرب من موجة الإغراق في الرمزيّة التي سقط فيها الشعر العربي خلال ما يقرب من النصف قرن المنصرمة، ليبقى أكثر قرباً من الناس.

أمّا بشأن الخصوصيّة الشبابيّة، فأنا لا أعتقد أنّ الشعر المحكي مرتبط بالحركات الشبابيّة التحرريّة وحدها، بقدر ما هو مرتبط بغنى وتعدّد مصادر الإطلاع. وإن كان لا بُد من الاعتراف أنّ مصر شهدت نشاطاً نوعياً في هذا المستوى لحركة شبابيّة عبّرت بالقصيدة المحكية عن مشاركتها بالثورة المصرية في يناير ٢٠١١. لكن في لبنان مثلاً أرى أنّ اللبنانيون يكتبون بكثافة، وتتعدد الأسماء والتجارب التي لكل منها خصوصيتها، وليست مرتبطة بحركة تحرريّة معينة أو فكر أيديولوجي معيّن.

إلاّ أنّ القصيدة المحكيّة في العالم العربي تعاني بشكل عام من أزمة، والدليل هو سوء أو ضعف كلمات الأغاني التي نسمعها اليوم. حتى من حيث النشر نجد أنّ الصحف والمجلات عموماً تتعاطى مع الشعر المحكي بدونيّة، إذ يرفض أغلبها أن ينشر قصائد محكية، وإن نشر فهي حالات أقل بكثير من شعر القصيدة المنظومة. أستثني من قولي هذا صحف ومجلات الخليج العربي التي تنشر قصائد محكية كثيرة، ولكن لشعراء الخليج وحدهم.

من جهته ينفي فادي هذا الارتباط الذاتي بمكانٍ محدد. ويقول عن خصوصيّة حضور المكان في قصيدته:

**- أعتقد أنّ الأماكن تحتفظ بحكايات سكانها، أنا أحاول أن أصغي، أو أتخيّل، ما يمكن أن تبوح به أحجار المكان من حكايات، وأكتبها قصيدة عن الناس الذين سكنوا هذا المكان.

خسر فادي كما الكثير من السوريين أصدقاء وأحباء، بعضهم شهداء تحت التعذيب، وفي وحدته التي تحتضنها بيروت، في غربته الجديدة، يجيب حول سؤال ثقل الذاكرة، وآليّات التعاطي مع هذه الذاكرة، التي يكتب عنها كثيراً، فنقرأ مثلاً:

(ضحكن .. مراكب سفر / دمعن.. بحر وشطوط
سكوتن.. غناني الضجر/ صوتن.. صدى : مربوط
عمرن مواسم قمر/ موتن.. لعِب بخيوط
واسمن: يا رعشة وتر/ ووجهن: حكي الماغوط
قبلن.. زماني مطر / وبعدن.. حجر.. محطوط.).

**- في هذا الموضوع تحديداً لا أستطيع الحديث كثيراً، إذ لم يزل الجرح ساخناً حتى اللحظة. أعيش لحظات انفعال قاسية جداً، ملؤها الشوق والحنين للتوصل مع الأصدقاء، قاسية حتى أنّها تشكل سوراً يحجب الكتابة عني. ولست قادراً على الانسجام مع غربتي الجديدة بعد. أشعر أنني في طريق سفر، مثقل بعبء الإحساس بالذنب، وفي الوقت ذاته أحاول الكتابة علّني أستعيد توازني.

*- إلى من رحلوا تكتب كثيراً، مواربةً أو بشكل صريح. تقول في أحد نصوصك الجديدة من بيروت:

(.... مرقوا
وباقي ألف حضن ووطن..
غلطان يا اللي مفتكر أنو: «وحدن بيبقوا»)

**- أجل على ما أعتقد. لقد حمّلني غياب الأصدقاء عبءً كبيراً. خاصة من استشهد تحت التعذيب. أقول لنفسي دوماً أنهم كانوا يحبون الحياة، ويحبون لنا أن نعيشها. باعتقادي المراثي إذ لم تتضمّن حلماً بمستقبلٍ أجمل فهي تفريطٌ بدم الشهيد. وقد كتبت نصّاً بعنوان «الوصايا العشر» لشهيدين تحت التعذيب، كان أبعد ما يكون عن الرثاء. حاولت أن أبوح بأحلام الشهيد، كيف يحلم بسوريا الحرّة.

ختاماً نستعير من ديوان جومر أمل ولو أنّه مُحمّل بالوجع، لكن لا مراثي.

(عم لملم ولادي شقف/ وحطّن ع مرجوحة
وروحي على طرف السما/ مشتاقة لـ روحا
وسكين يالـ شفتا على عنقِك/ غزيتها بقلبي ..
لاقيتها بالقلب... مدبوحة/ يا بلد محرومة الفرح..
جاي عليك يوم/ ويكون كعك العيد.. حريّة
ووجاعنا.. ع الأرض.. مشلوحة).

اغتيال الأب «فرانسيس فندرلخت»

فداء يونس

تسلل يوم الأحد ٦ نيسان/ ابريل ٢٠١٤ مجرم ملثم إلى دير الآباء اليسوعيين في حي بستان الديوان بحمص القديمة، التي يحاصرها النظام السوري منذ شهور طويلة، ليغتال الأب فرانس فاندرلخت راعي الدير.

الأب فرانس ٧٥ سنة، هولندي الجنسية، أمضى سنتين في لبنان لدراسة اللغة العربية، واستقر في سوريا منذ عام ١٩٦٦ حتى تاريخ اغتياله، رافضاً الخروج من أحياء حمص المحاصرة، ليشاطر السوريين ويلات الحصار المفروض عليهم من قبل النظام، وينقل ما استطاع من حقائق ذلك الحصار وما رافقه من قصف وتدمير وتجويع إلى العالم أجمع. مطالباً المجتمع الدولي بإدخال المساعدات الإغاثية الفورية إلى الأطفال والنساء والشيوخ.

في إحدى مقابلاته مع وكالة «فرانس برس» عبر سكايب، قال الأب فرانس «أنا حصلت على الكثير من الشعب السوري، من خيرهم... وازدهارهم. إذا الشعب السوري يتألم حالياً، أحب أن أشاركهم ألمهم ومشاكلهم... أحب أن أكون معهم...، أن أقدم لهم بعضاً من التعزية والتواصل والتعاطف، ليقدروا على تحمل هذا الألم الفظيع».

كان من المفترض أن يرعى الأب فرانس شؤون المسيحيين في أحياء حمص المحاصرة، الذين هجّرهم حامي الأقليات من أحيائهم وبيوتهم، لكن رعاية الأب فرانس واهتمامه لم تميز بين مسيحي ومسلم، كان يتمتع بعلاقات طيبة مع كل شباب حمص وفعالياتها المدنية، يعمل على مساعدة الجميع كسوريين، ويقول «الشعب السوري لا مثيل له، طيب وصبور ولديه إمكانية أن يعيش بأقل شيء» مضيفاً «حالياً يعيشون بأقل من ذلك، لكن ما إذا لم يعد ثمة شيء متوافر لهم؟ كيف يعيشون؟».

مهما يكن اسم القاتل أو هويته، فإن اغتيال الأب فرانس لا يخدم إلا نظام القتل، لذلك كتب المجلس المحلي لمدينة حمص في نعوته: ابونا فرانس الحمصي ستذكرك حمص القديمة بشوارعها وكنائسها وازقتها، لابل شعبها بمسلميه ومسيحيه، كيف لا، وانت الذي صمدت معهم وشجعتهم في ظل الحصار الخانق عليها.

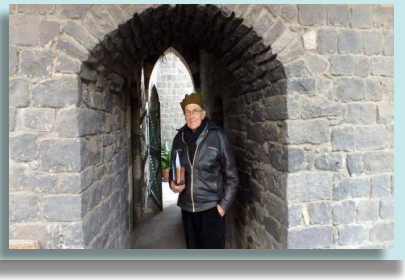

كاريكاتير العدد

من يحكم سوريا الآن؟!

منى أسعد

نجد في كريكاتير حديث للفنان السوري على فرزات أن الكرسي الرئاسي الذي أدار النظام حربه ضد السوريين بسببه منذ ثلاث سنوات ونيف أصبح فارغاً، في إشارة ذكية إلى السؤال المتداول الآن بكثافة بين السوريين: من يحكم سوريا الآن؟

فالسوريون من المعارضة والموالاة يُدركون أن نظامهم غادر منذ مدة طويلة موقع القرار في سوريا، ليصبح حلفاؤه في إيران وتوابعها من حزب الله وعصائب الحق ومرتزقة أبو افضل العباس... هم المتحكمون بسير المعارك العسكرية، وتحديد إحداثياتها وحجم المجازر المرتكبة في كل منطقة. مما أصبح يشكل حالة ضاغطة على الكثير من قيادات النظام، والتي كانت مدار أحاديث وتعليقات وسائل التواصل الاجتماعي، لتنتهي في أعمدة الأخبار والتحقيقات الصحفية مؤخراً مع تصاعد الخلافات.

ولم تخف المليشيات السابقة مفاجأتها من تردي الحالة القتالية والمعنوية لحماة الديار، إذ اكتشفوا أن «جيش النظام متهالك، وعلى حافة الانهيار، مما دفع بهم لإرسال المزيد من العناصر تجاوزوا العشرين ألف مقاتل، وتم زجهم في ريف دمشق وحمص خلال الشهرين الماضيين». الأمر الذي أدى إلى ارتفاع أعداد التوابيت التي تصل إلى ضاحية بيروت، أو تجتاز الحدود باتجاه العراق، ناهيك عن آخرين دفنوا في الطريق، حتى بدون مراسم دينية، بالتزامن مع روايات عن تخاذل ضباط النظام الذين فروا من معارك الغوطة الشرقية، وتركوا عناصر «حزب الله» لقمة سائغة لمقاتلي المعارضة دون إعلامهم بالانسحاب. مع التأكيد المستمر أنه لولا حزب الله ومن خلفه إيران لسقط النظام السوري من زمن.

كل ذلك ينطوي على كثير من الحقيقة، ومن بديهيات السياسة أن المسيطر على القوة العسكرية هو الذي يتحكم بالقرار السياسي، لذلك تراجع دور النظام في مستوى القرار السياسي تبعا لتراجع سيطرته الميدانية عسكريا لصالح تلك المليشيات، بالتزامن مع انفراد وسائط الإعلام الموالية لحزب الله في لبنان بتغطية الحدث السوري مباشرة من أرض المعارك، وبث فديوهات السيطرة على بعض المواقع كاقتحام قلعة الحصن على سبيل المثال، مقابل غياب الإعلام الرسمي للنظام، حتى أن التلفزيون السوري اضطر للنقل عن محطة «الميادين»، مما اعتبر فضيحة إعلامية، أثارت احتجاجات الإعلام الرسمي للنظام. استجابة النظام كانت بقرار وقف البث المباشر لقناة «الميادين» من مناطق المعارك إلا بإذن رسمي، خاصة بعد فضيحة خبر «الميادين» الكاذب عن سيطرة النظام على المرصد (٤٥) في اللاذقية.

رد فعل قناة «الميادين» كان سريعاً، حيث قلّصت تغطيتها الإخبارية في سوريا، كما أوقفت برنامج «حديث دمشق» الذي يبث أسبوعيا، وقررت سحب مراسلة الميادين الرئيسه ديما ناصيف من دمشق، ووقف نشاط كل المراسلين الميدانيين المنتشرين في مناطق التي يسيطر عليها النظام. وربما تحذو قناة «المنار» باتجاه إجراءات مشابهة، بينما انتقدت جريدة «الأخبار» آلية الإدارة المتخلفة للإعلام من قبل أصحاب القرار.

بثينة شعبان المستشارة الإعلامية للأسد زادت الطين بلة حين أكدت بأن: بعض المحطات الصديقة أقدمت في الآونة الأخيرة على بث مقابلات وتقارير توحي نوعاً ما بأن سوريا ودولتها لم تكن لتصمد لولا دعم فلان وفلان من الدول والأحزاب... وهذا الأمر مرفوض، فسوريا صمدت بشعبها الذي قدم إلى الآن أكثر من ربع مليون شهيد.

لن يُصدق أحد اعتراف شعبان بخسارة النظام لربع مليون عسكري وشبيح خلال سنوات الثورة، لكننا متأكدون من خسارة النظام لسيطرته السياسية والميدانية، حتى لو نجح بعيد أيام في لفلفة الموضوع.